فقط (أننا لم نخير حين ولادتنا وأننا سوف لا نخير عند موتنا ، وأننا لم نختر والدينا ، وأننا لا نستطيع شيئاً حيال الزمن ، وأن بين كل منا وبين العالم فاصلا معيناً . وعند ما أقول إن كل إنسان يحس بقوة بوجود القدر فأنني أقصد أنه يحس — بحرارة ومن وقت لآخر على الأقل — باستقلال الكون عنه وإهمال المجتمع لشأنه) .

هذا الإحساس المرير من جانب الفرد بمزلته فى هذا العالم مما دفعه إلى التعلق بالقدرة والاستعانة بالخيالات والأوهام لتبرير حياته والرضى بما هو فيه من هوان هو فى نظر مالرو نتيجة تفكك الروابط الاجتماعية فى حياتنا الحاضرة وطغيان المادية على كل اعتبار حتى هانت القيم البشرية ، وأصبح الاستهتار بكرامة الإنسان وحياته وتضحيتهما هشيا سهلا فى سبيل المآرب الذاتية ، أمراً ما أهونه فى هذا العصر الذى سماه أندريه مالرو بحق وأطلقه عنواناً لأحد كتبه الخالدة (عصر الازدراء) للمخلوق البشرى !

Temps de mepris

ما القدر الذى تصادفه دائماً فى قصص مالرو ؟ هو ذلك الملاذ الغامض الذى يلجأ إليه الإنسان حين يحس بوحشته فى هذا العالم وتتوالى المظالم والنكبات عليه دون أن يعرف لها مبرراً أو تفسيرا ... فلكى ننتزع الإنسان من استعباد القدرية ونحرر شخصيته ونرد له اعتباره يجب كما يرى مالرو أن نخلق له مجتمعاً واقعياً تسوده قوانين العلم والمنطق ؛ مجتمعاً يحس فيه بوجوده ويدرك بين أحضانه أنه يعمل للمجموع ويعمل المجموع له . وهذا المجتمع لا يتحقق إلا بنظام اجتماعى تسوده العدالة والأخاء البشرى وتبرز فى ظلاله قوى الفرد ونواحى نشاطه لتتسلط بقوة العقل على قوى الطبيعة الغاشمة وتخضعها لخدمة الإنسان بدل أن تخضعه هى لطيشها وعتوها .

وأسلوب مالرو أسلوب حزين ، عميق كتفكيره ، جامح كفنه الرائع . ذلك الفن الذى يضعه فى مقدمة كتاب العصر التقدميين والذى تنبض أرجاؤه بتلك العالمية الواسعة وذلك الهم الذى يحمله فوق ظهره فى سبيل الأنسانية وخيرها .

على كامل

(الزنكلون)

خواطر مسبوعة:

الصديق ...

للأستاذ حامد بدر

الذمة إن مستها الراحة جفت ، والنازلة إن شورك فيها خفت ، والطود الذى عظم ، ينقص لو قسم ؛ وكلنا هدف لنوب الزمان ، لم يأخذ أحد لنفسه الأمان !

نشرب الكأس حلوة مرة ، ومرة مرة . ومن وجدته فى الضيق ، فذلك هو الصديق ، وذلك هو الكنز الثمين ، والساعد اليمين ... !

الصديق الذى يواسيك ، فى مآسيك ، ويؤثرك على ذاته ، ويقيك بحياته . فإن ظفرت بذلك ، ولا إخالك ، فاهدم حجة من قال : وجود الوفى محال !

وعندى لا صديق غير هذا الطراز ، إلا على سبيل المجاز . فايحب الصديق المجازى على عيبه وداره ، وعالجه بإقالة عثاره . وقدر الفضل لأهله وإن قل ، ولا تجحد البعض إن لم تنل الكل . وأحسن الظن بالصريح البرىء ، وتغاض كرماً عن عيب المسىء ؛ فالصاحب إن نقدته فقدته ، والعيب إن تفقدته وجدته !

أدعو إلى الصداقة ولا أنهى ، وإن كنت طعينا منها ! صاحبت أخداناً وخلاناً ، وخصصت بالثقة فلاناً ، وتوالى الجديدان ، وطال الزمان ، وزعمت أنى ظفرت من دنياى ، بما لم يظفر به سواى ، وفاخرت بصديق الصحاب ، وجعلته حديثى المستطاب . وكل همى إقامة البرهان ، على أنه صفوة الإخوان ، وأنه الذى لا يتغير عند انتياب الصروف ، ولا يتنكر بتنكر الظروف ؛ فإن قيل لا وفى قلت كلا ، هذا هو المستثنى بإلا . ولكنه برغم أنفى أعرب ، بحجة تقطع شك المريب ، على أنه اسم معرب ، يتغير بتغير التراكيب !

حامد بدر